أمريكا والسد العالي

جاء مشروع بناء السد العالي فصلاً آخر من فصول سوء الفهم بين الولايات المتحدة وعبد الناصر ، فلم يكتف الاتحاد السوفيتي بكسب الجولة الأولى في انحياز عبد الناصر له بإتمام صفقة الأسلحة بل إنه سعى لكسب جولة أخرى بتقديم مساعدات اقتصادية لعبد الناصر . ولقد وجدت الولايات المتحدة وبريطانيا أن المساهمة في تمويل وبناء السد فرصة لقطع الطريق على الاتحاد السوفيتي لمواصلة استمالة عبد الناصر للانحياز للكتلة الشرقية .

رغبة أمريكا وانجلترا في تمويل السد العالي

لذا أصبحت مسألة تمويل المشروع المصري في قمة أولويات الولايات المتحدة وبريطانيا . ولم يكن تفضيل مصر الدائم للمساعدة الغربية هي التي خلقت الإحساس العاجل المفاجئ بالمسألة وإنما كان العرض السوفيتي للمساعدة والذي حين أضيف إلى الصفقة التي تمت بالفعل قد فهم في واشنطن وحتى إلى درجة أكثر عجلة في لندن باعتباره تحدياً من الدرجة الأولى في الحرب الباردة . وفي ٢٠ أكتوبر بدأت الخارجية الأمريكية تروِّج لتقارير عامة عن استعداد واشنطن المساعدة في بناء السد العالي وكذلك نهر الأردن . " [١]

وفي الشهور الأخيرة لعام ١٩٥٥ اعتقد دالاس (الذي أصبح مسئولاً عن إدارة رد فعل الولايات المتحدة بعد إصابة أيزنهاور بأزمة قلبية [٢]) أن اشتراك الولايات

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٢٩.
([2]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢١٣.

المتحدة في تمويل المشروع سوف يولد درجة من الاعتماد المصري على الغرب وكذلك انشغالاً مصريّاً ببناء السد يكفي لصد سياسات لا تتفق مع مصالح الولايات المتحدة وما كان دالاس يحاول أن يفعله كما لاحظ مستشاره القانوني في وزارة الخارجية Hermen Phleger " هو أن نضع مصر في طريق تكريس مواردها لبناء السد وهو ما سوف يعيق في حد ذاته مغامرات عسكرية ، كما سوف يكون مساهمة عظيمة لاستقرار وسلامة وأمن ومستقبل مصر . " [١]

وكانت مبادرة الولايات المتحدة بتقديم المساعدة في بناء السد العالي محاولة لإفساد الانتصار الذي حققته الدبلوماسية السوفيتية في صفقة الأسلحة . وأكد أيزنهاور نفسه أن هدف اقتراح المعونة هو وقف نمو العلاقات العسكرية بين مصر والسوفييت . [٢]

ونصح تيتو أثناء زيارته لمصر عبد الناصر بقبول العرض الأمريكي كعنصر موازن لارتباطات مصر المتزايدة مع السوفييت وعمل عبد الناصر بنصيحة تيتو فقبل بالعرض الأمريكي لكنه رفض أن يكون قبوله بالعرض الأمريكي يعني عودته كحليف خالص لأمريكا دون السوفييت ، وقد بدأ يجني ثمار عدم الانحياز لإحدى القوتين العظميين ، وكان يأمل أن يضع قدماً في الغرب وأخرى في الشرق ، وأن يحصل على مساعدات من هنا وهناك دون التزام بسياسة هذا ولا ذاك .

من ليس معنا فهو ضدنا

ورفض دالاس سياسة عبد الناصر هذه " إن الولايات المتحدة لا تستطيع تأييد المساعدة للسد بينما ناصر يحاول في نفس الوقت أن يحصد مزايا يتيحها الشرق والغرب " [٣] فقد كان دالاس يتصور أن موافقة أمريكا على تمويل السد يعد" وسيلة لدفع مصر إلى رفض المبادرات السوفيتية وإلى تحالفها مع الولايات المتحدة ". [٤]

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٣١.
([2]) نفسه ص ٢٣٦.
([3]) نفسه ص ٢٥١.
([4]) نفسه ص ٢٤١.

وبرفض عبد الناصر سياسة دالاس تقلَّصت أهمية مشروع السد بالنسبة للولايات المتحدة ، لأن دالاس لا يقبل أن تقف الولايات المتحدة على قدم المساواة مع السوفييت في علاقة عبد الناصر بها فهو يؤمن بالمبدأ الذي أعلنه جورج بوش الابن بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ " من ليس معنا فهو ضدنا " و "الدول التي ليست مع الولايات المتحدة فهي ضدها " [١] . لذا بدأت السياسة الأمريكية في العمل على عزل عبد الناصر " فقد كان اعتقاد أيزنهاور ثابتاً بأن ناصر يسير في طريق معارض لمصالح الولايات المتحدة وهو الطريق الذي يتعيَّن على الولايات المتحدة أن تشرع في سياسة مضادة تهدف إلى عزل مصر .

ورغم عدم ذكر هذا بوضوح فإن تأييد الولايات المتحدة للسد سوف يكون غير متسق كلية مع هذه الاستراتيجية. وفي ٨ مارس ١٩٥٦ كتب أيزنهاور في يومياته: " لقد وصلنا إلى نقطة يبدو معها أن مصر تحت قيادة ناصر لن تتخذ أي حركة أيّاً كانت للالتقاء بالإسرائيليين في جهد لتسوية الخلافات الرئيسية . وزيادة على ذلك فإن العرب وهم يستوعبون شحنات كبيرة من الأسلحة السوفيتية إنما ينمون يوميّاً بشكل متغطرس وعدم مبالاة لمصالح أوربا الغربية والولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط ، وسيبدأ في الظهور لنا أن جهودنا يجب أن تتجه نحو فصل السعودية عن المصريين وأن نركز على الأقل في هذه اللحظة على أن نجعل السعودية ترى أن مصالحها تكمن معنا وليس مع المصريين أو الروس . وعلينا بالطبع أن نعقد في نفس الوقت معاهدة حماية مع الإسرائيليين ... وأنا متأكد من شيء واحد إذا ما وجدت مصر نفسها معزولة بهذا الشكل عن بقية العالم العربي وبلا حليف سوى روسيا السوفيتية فإنها سوف تشعر سريعاً بالألم من هذا التوقع وسوف تنضم إلينا في البحث عن سلام مقبول في هذه المنطقة . "

([1]) راجع أحاديث جورج بوش بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في وكالات الأنباء العالمية .

تبنى أيزنهاور الرأي الغربي المبسط الذي بدأ يظهر عن ناصر باعتباره متعطشاً للسلطة وإن كان شخصيّاً ضعيفاً مصاباً بجنون العظمة . " [١]

سحب أمريكا عرض تمويل السد وانتهاء التحالف

قرَّر دالاس كعقاب لعبد الناصر ، الذي بدأ يستقل بقراره بعيداً عن مصلحة الولايات المتحدة أن يسحب عرض تمويل السد العالي كوسيلة ضغط على عبد الناصر لتغيير سياسته تجاه الولايات المتحدة لتعود كما كانت فعند وصول أحمد حسين (سفير مصر في الولايات المتحدة) إلى الخارجية الأمريكية يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ بتفويض من عبد الناصر لعرض المسألة بإعلان قبول مصر غير المشروط للشروط التي قدمت في ديسمبر الماضي .. وقال : إنني شغوف جداً لأن تقوم بذلك الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي لأن الروس يضغطون علينا وقد حصلنا على العرض الروسي في جيوبنا ، وكان هذا نوع من الابتزاز الذي قال أيزنهاور إنه لن يخضع له، ولكن دالاس لم يتصيده حول هذه النقطة لكنه قال له: "... إننا قد توصلنا إلى نتيجة أننا نشعر أن المشروع ليس ملائماً في الظروف الراهنة وفي مقدمتها أننا نعتقد أنه سيكون إجهاداً كبيراً للاقتصاد المصري ". [٢]

وردّاً على سؤال مندوب مجلة "لوك" الأمريكية : هل تعتقدون – كما يدعى "جون بيل" فى كتابه عن "دالاس" – أن وزير الخارجية الأمريكية تعمد مواجهة الموقف في الشرق الأوسط بعمل حاسم عندما سحب عامداً عرض تمويل السد العالي؟

قال عبد الناصر: أوافق على أن هذه كانت حركة متعمدة، لقد قرأت الكتاب، ولقد تشاءمت بعدئذ من مستقبل علاقاتنا مع أمريكا. إن الكتاب يوضح أن سياسة "دالاس" إنما كانت عدائية تجاه بلادنا، لماذا تحاولون أن تفرضوا علينا ما تريدون ؟ إننا لن نقبل تلقى الأوامر من أحد، ألا تفهمون ؟!

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
([2]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٥٩.

obeikandl.com

سؤال :لقد بدأت معاملاتكم مع الكتلة السوفيتية عسكريّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وثقافيّاً؛ بدأ هذا التعامل حقيقة مع صفقة الأسلحة عام ١٩٥٥، فلو كانت الولايات المتحدة قد باعت لكم السلاح، فماذا كان يصبح الموقف في الشرق الأوسط اليوم ؟

*الرئيس : سل "المستر دالاس" لقد كنت أبنى قصوراً في الهواء على علاقتي بأمريكا، ولقد حاولت بكل وسيلة أن أكون صديقاً وعلى علاقة طيبة بالأمريكان بدون أن أصبح ألعوبة في أيديهم، ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة، وعليه علمت الآن أنه يجب علينا الاعتماد على أنفسنا، وعلى عرقنا، وعلى جهودنا. ومن ناحيتي أقرر أنني قد استفدت كثيراً من تجارب السنوات الخمس الماضية . " [١]

وبهذا لم ينته تحالف عبد الناصر / أمريكا فحسب بل بدأت أمريكا وانجلترا ومن ورائهما أوربا الغربية في معاداة عبد الناصر وسياسته ، حتى لا تحذو أية دولة أخرى من حلفاء أمريكا من العالم الثالث حذو مصر وتخرج عليها . إن أمريكا التي كانت تعتبر نفسها الراعي الرسمي لثورة يوليو ، وكانت – في ظنها – وراء كل إنجاز حققته الثورة لم تكن لتقبل أن يتقلَّص دورها ، وتقف على قدم المساواة مع السوفيت عدوها اللدود . إن أمريكا لا تقبل من عبد الناصر – الذي تعتبره حليفها الأضعف – إلا أن يكون تابعاً لها خاضعاً لسياستها ، وليس له حق المناورة بطلب المساعدة من السوفيت لإجبار أمريكا على تلبية رغباته وبزوغ نجمه كبطل قومي.

ولكن ينبغي ألا نفهم من ذلك أن الولايات المتحدة قد قررت قطع العلاقة تماماً بعبد الناصر والاستغناء النهائي عن حليف أساسي في المنطقة وتركه لكي ينحاز كلية للسوفييت ويتحول من حليف لعدو . فما دام عبد الناصر لم يمس أمن إسرائيل ولا

([1]) من حوار صحفى للرئيس جمال عبد الناصر مع مندوب مجلة "لوك" الأمريكية ١٩٥٧/٦/١٤. راجع خطب عبد الناصر على موقعه الرسمي على الإنترنت .

obeikandl.com

المصالح الأمريكية : شركات البترول ، والبنوك ، وغيرها . فلا بأس من الاختلاف حول قضايا أخرى ، وتبادل لاتهامات ، والحروب الكلامية . فبعد صفقة الأسلحة الروسية ، وقصة السد العالي تراوحت العلاقة بين الولايات المتحدة وعبد الناصر بين مد وجزر ، لكن لم تُقْطع بينهما شعرة معاوية حتى اندلاع حرب يونيو ١٩٦٧ التي قطع عبد الناصر على إثرها العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة رسميّاً .

***

obeikandl.com